وأبى زرعة وأبى حاتم وغيرهم بسبب ذلك وكان فى القضية أهواء وظنون حتى صنف (كتاب خلق الأفعال) وذكر فيه ما رواه عن أبي قدامة عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة وذكر فيه ما يوافق ما ذكره فى آخر كتابه (الصحيح) من أن القرآن كلام الله غير مخلوق وان الله يتكلم بصوت وينادى بصوت وساق فى ذلك من الأحاديث الصحيحة والآثار ما ليس هذا موضع بسطه وبين الفرق بين الصوت الذى ينادى الله به وبين الصوت الذى يسمع من العباد وان الصوت الذى تكلم الله به ليس هو الصوت المسموع من القارىء وبين دلائل ذلك وأن أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة والله تعالى بفعله وكلامه غير مخلوق .

وقال فى قوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) إن حدثه ليس كحدث المخلوقين وذكر قول النبى (أن الله يحدث من أمره ما شاء وإن مما أحدث أن لا تكلموا فى الصلاة) وذكر عن علماء السلف أن خلق الرب للعالم ليس هو المخلوق بل فعله القائم به غير مخلوق وذكر عن نعيم بن حماد الخزاعى أن الفعل من لوازم الحياة وان الحى لا يكون إلا فعالا إلى غير ذلك من المعانى التى تدل على علمه وعلم السلف بالحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول